حب الله

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد إله الأولين والآخرين

وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد ..

فمن عجيب أمر الناس أنهم يحوّلون معانى بعض الكلمات إلى مدلولات غير كريمة، ويعيشون فى ظلال هذا الوهم : منْ كان منهُم شريف القصد نَفَر من ذكر هذه الكلمات أو تحرّج - ومن كان سيئ القصد تعمّد أن يسوقها فى مواقفَ معينة، وسعى إليها فى خبث ومكر.

ومن هذه الكلمات كلمة (الحب) - ونحن نعرف معناها الذى يتبادر إلى أذهاننا اليوم - لكن ذلك لا يمنعنا من أن نجعلها عنوانا لأكرم صلة - لأنها تحمل أكرم معنى فى كتاب الله تعالى، وفى حديث رسوله الأمين.

كان صلوات الله وسلامه عليه يقول فى دعائه : «اللهم ارزقنى حبَّك، وحبَّ من أحبَّك. وحبَّ ما يقربنى من حُبِّك» ذلك لأن محمدا كان عبد الله ورسوله، لأنه كان حبيب الله وصفيه. والمسلم مطالب بأن يكون حبيبا لله، حبيبا لرسول الله - والرسول الكريم هو الذى جعل حب الله وحبَّ رسوله شرطا لكمال الإيمان فقال : «لا يؤمن أحدُكم حتّى يكون اللهُ ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهما».

وفى القرآن الكريم يقول الله تبارك وتعالى : ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم**﴾سورة آل عمران آية ٣١.

وفى هذه الآية أمران :

أولهما : الدعوة إلى حبّ الله بما فيه من طاعة ونجوى.

وثانيهما : أن طريق هذا الحب هو الإسلام فمن أراد الوصول إلى الله، والتمتع بحبه

ورضاه، فعليه باتباع محمد. والتمسكِ بدينه، ولا سبيلَ غيرَ ذلك. فمن أحبّ الله عن طريق آخر ضل سعيه، وخاب رجاؤه، وفى الصحيح عن رسول الله : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رَدّ» ولهذا كانت الآية على هذا النسق - ﴿ **إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾سورة آل عمران آية ٣١.

ونمضى مع الآية الكريمة فنجد أن حبنا لله لا يكفى - بل لا بدَّ أن نصَل إلى درجة الصفاء والنقاء نُصبح فيها جديرين بأن يحبنا الله - وَكما قال بعض الحكماء : «ليس الشأن أن تحب - بل الشأن أن تُحب» - نعم - ليس مهما أن تدعى حبك لله - إنما المهم أن تصبح فى مقام تكون فيه أهلاً لأن يحبَّك الله، فإذا أحبك الله رضى عنك ورعاك - إذا أحبك الله صرت بعينه، إذا أحبك الله كان سمعك الذى تسمع به، وبصرك الذى تبصر به.

أيها الأخ الكريم : من أجل هذا كان حبُّ الله فرضا على المؤمن - والله سبحانه يقول : ﴿ **والذين آمنوا أشد حبا لله** ﴾سورة البقرة آية ١٦٥ - ويقول فى وصفه لقوم يختارهم ويرعاهم : ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾سورة المائدة آية ٥٤.

وقدم أعرابى على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فقال : يارسول الله - متى الساعة؟ فقال له الرسول : ما أعددتَ لها؟ فقال الأعرابى : ما أعددتُ لها كثير صلاة ولا صيام إلا أنى أحبُّ الله ورسوله : فقال له رسول الله ﷺ : المرء مع من أحبّ.

قال أنس (راوى الحديث) فما رأيت المسلمين فرحوا بشىء بعد الإسلام فَرَحَهم بذلك.

ونحن نروى هنا قصة تنسب إلى عيسى بن مريم عليه السلام لا يهمنا أن تكون صحيحة بقدر ما يهمنا ما فيها من دلالة على ما نريد من فكرة أو هدف.

يُروى أن عيسى مرّ بثلاثة نفر قد نَحلَتْ أجسامُهم، وتغيرت ألوانُهم . فقال لهم : ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ قالوا : الخوف من النار. فقال : حق على الله أن يؤمن الخائف - ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشدُّ نحولا وتغيرا فقال : ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا : الشوق إلى الجنة فقال : حقٌّ على الله أن يُعطيكم ما ترْجُون. ثم جاوزهم

إلى ثلاثة آخرين أشد نحولا وتغيرا فقال : ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ قالوا : نحب الله - فقال : أنتم المقربون، أنتم المقربون، أنتم المقربون.

وهنا نقف لنقول : إذا أنت عبدتَ الله خوفا من ناره أنجاك الله من ناره - وإذا أنت عبدته شوقا إلى جنته، أدخلك الله جنته - أما إذا عبدته لذاته وحبا لذاته يرتفع فوق الخوف من النار، وفوق الشوق إلى الجنة كنت أهلا لكل شىء للنجاة من النار ولدخول الجنة ، وأهلا بعد ذلك لقرب الله وحبّ الله.

.وحبُّ الله هو المنزلة التى تتميز عندها الألباب - كما قال أحد العابدين :

لا زلتُ أنزلُ من ودادك منزلا تتحيَّرُ الألبابُ عند نزوله.

فاللهم ازرقنا حبك وحب من يحبك واجعلنا من الصالحين.

- أمين -

مسابقة

الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاما على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد .

وأشهد أن لا إله إلا الله هو الواحد زاد محمداً تكريما وحباه فضلا من لدنه عميما.

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول ﷺ.

وبعد..

أيها المسلم :

هذه مسابقة : دعاك إليها الكتاب الكريم، وحثّك عليها الرسول العظيم، وتأمرك بها الفطرة الهادية.

هى مسابقة فى الخير، ومسارعة إلى الطاعة، ومنافسة محمودة تسعى إلى مغفرة الله - حدثنا القرآن الكريم عنها فى سورة الحديد فقال : ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، أعدت للذين آمنوا بالله ورسله - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء - والله ذو الفضل العظيم.** ﴾سورة الحديد آية ٢١.

وإذا كانت المسابقات فى الدنيا تنتهى بفوز واحد أو اثنين فإن التسابق إلى مغفرة الله يَقبل فى رحابه كلَّ من سعى إليه - وإذا كانت مكافأة الفوز فى الدنيا عرضا زائلا - فإن مكافأة الفوز فى هذه المسابقة : جنةٌ عرضها كعرض السماء والأرض، وبعدها مغفرة من الله ورضوان.

وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه المسابقة بالمسارعة - قال تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾سورة آل عمران آية ١٣٣. وفى نفس السورة مَدَحَ بعضَ المؤمنين من أهل الكتاب فقال : ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون - يؤمنون بالله واليوم الآخر - ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويسارعون فى الخيرات - وأولئك من الصالحين** ﴾سورة آل عمران آيات ١١٣، ١١٤.

وفى هذه الآيات تفصيل دقيق يُوضح لنا وسائل الفوز فى هذه المسابقة، ويرسم طريق النجاح لمن أراد النجاح - لقد تحدثت الآيات عن صفات هؤلاء المتسابقين الذين أثنى عليهم ربهم، ومنحهم شرف اللقاء وشرف الثناء قبل اللقاء.

وأول هذه الصفات «القيام بأمر الله - والالتزام بشرعه، واتباعُ تعاليمه، فهم أمة مطيعة، قائمةٌ، مستقيمة على الطريق الصحيح» - وهذا هو معنى قوله تعالى «أمة قائمة».

وهم بعد القيام بأمر الله، وتحقيقا لمعنى الالتزام يعكفون على كتاب الله : يتلون آياته، ويتدبرون معانيه - قد هجروا فى سبيل ذلك مضاجعهم ، وتركوا لذائذ لياليهم، وأقبلوا على ربهم يدعونه خوفا وطمعا، ويسجدون لجلاله فى استغراق وإيمان. وفضل العبادة فى الليل معروف - حدثنا أحد العارفين أنه رأى فى منامه إماما من أئمة المتصوفين فسألهُ عن أحواله فقال : «ضاعت تلك العبارات - وذهبت تلك الإشارات - ولم ينفعنا إلا ركيعاتٌ كنا نركعها عند السحر» - وصدق الله ﴿**إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا**﴾سورة المزمل آية ٦.

أما صفتهم الثانية فهى الإيمان بالله وبلقائه - وهو إيمان عميق له جذور ونتائج - ولهذا يدفعهم إلى **صفة ثالثة** هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - ذلك أن صدق الإيمان لا يتحقق وفى النفس بقية من أنانية - إنما يكمل الإيمان حين يسعى المؤمن إلى الناس يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر - والمؤمن لا يرضى لنفسه الطاعة والقرب، وللناس العصيان أو البعد، ولو أنه آثر نفسه وحده بالخير، وتمنىّ أن ينفرد بمغفرة ربّه لكان بذلك أول الخارجين على تعاليم الدين. الدين سماحة وأخوة - والدين تعاون وتآلف وترابط - والدين رحمة شاملة.

ثم تأتى صفتهم الرابعة (يسارعون فى الخيرات) ومعنى المسارعة والمسابقة هو الإقبال على الطاعات بجد وإخلاص، فهو إقبال روحى يجد فيه المؤمن نفْسًا متفتحة للعمل الصالح، مشوقةً إلى الإقدام عليه - وفرق بين من يعمل الطاعات فى ظلال الرضا والرغبة، ومن يُساق إليها بسياط الخوف والرهبة - وقد وصف القرآن الكريم الفريقين، ويحدث عن الفئتين - ويهمنا هنا أن نقرأ قول الله فى وصفه للمؤمنين المتقين

- الراغبين فى الفوز حتى ولو امتزجت رغبتهم بالخشية، فإن خشيتهم دليلُ معرفة، وعلامة يقين:

﴿ **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون - والذين هم بآيات ربهم يؤمنون - والذين هم بربهم لا يشركون - والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون - أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون** ﴾سورة المؤمنون آيات ٥٧ : ٦١.

أيها الأخ الكريم :

هذه هى المسابقة التى دعاك إليها القرآن الكريم، وهذا هوالطريق لمن أراد الفوز فيها - لقد وضحت الغاية - فسارع وسابق لتكون من الفائزين : ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء - والله ذو الفضل العظيم** ﴾ سورة الجمعة آية ٤.

والحمد لله رب العالمين

ألوان من رحمة الله

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين.

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدًا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين ورحمة الله للعالمين.

وبعد..

أيها الأخ المسلم :

ما أوسع رحمة الله، وما أعظمَ فضلهَ على الإنسان - إننا لنرى مظاهر متعددةً لهذه الرحمة - تأتى والعبد فى غاية من الضيق، ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وضاقت عليه نفسه بما وسعت - وظن ألا منجاة له من كربه ثم تأتى الرحمة الإلهية فتمنَحُه الفرج - وتعطيه سلام النفس وراحة الضمير.

وإنى لمحدثك اليوم عن ألوان أخرى من رحمة الله تأتى حين لا رجاء ولا أمل - تأتى وقد انقطعت أسباب العمل، وتعطلت وسائل النجاة، وسدّت جميع الأبواب إلا بابَ الله.

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿**إن الله لا يظلم مثقال ذرة - وإن تك حسنة يضاعفها، ويؤت من لدنه أجرا عظيما**﴾سورة النساء آية ٤٠.

فى هذه الآية الكريمة ألوان ثلاثة من رحمة الله - يشمل بها عباده يوم القيامة - يوم لا ظل إلا ظله، ولا رحمة إلا رحمته، ولا أمل إلا فى عفوه ومغفرته.

أما اللون الأول : فهو أن الله لا يظلم أحدا من عباده مثقال حبة من خردل - إنما هو العدل المطلق، والميزان المستقيم ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾ سورة الأنبياء آية ٤٧- وفى وصية لقمان لابنه : «يابنى :﴿ **إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله - إن الله لطيف خبير**﴾ سورة لقمان آية ١٦.

ستعرض الحقائق على الناس - ويَعرِف كلُّ امرئ ما قدمت يداه، ويُصْدر الحكم على نفسه قبل أن يعلن فى محكمة السماء ﴿ **يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾سورة الزلزلة آيات ٦ : ٨.

يروى أن هذه الآية نزلت وأبو بكر يأكل مع النبى ﷺ . فرفع أبو بكر يده وقال : يارسول الله : إنى أجزى بما عملتُ من مثقال ذرة من شر ؟ فقال : «يا أبا بكر : ما رأيتَ فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشرّ، ويدخّر الله لك مثاقيل ذرّ الخير حتّى تُوفاه يوم القيامة» ومعنى هذا الحديث أن الذنوب الصغيرة تكفرها متاعب الدنيا ومصائبها، وأن الحسنات الصغيرة تبقى فى سجّل المؤمن حتى تعرض وحدها يوم الحساب - وهذا من رحمة الله.

ولا شك أن العدل المطلق فى أى محكمة إنما هو لون من ألوان الرحمة - وحسبنا أن المتهم فى الدنيا لا يرجو شيئا غير محكمة عادلة تكتفى بما فعل من ذنب ولا تذكر ما قدم من حسنة، أما محكمة الله فإنها تعرض الأمرين : الحسنة والسيئة - وتقرر الناحيتين - الثواب والعقاب - وأبعد من ذلك أنها تتسامح فى صغير السيئات، ولا تنسى صغير الحسنات - بل تضعه فى ميزان الرحمة.

روى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ من حديث طويل عن الشفاعة ، «فيقول الله عزّ وجل : ارجعوا - فمن وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه من النار» ثم يقول أبو سعيد : «اقرأوا إن شئتم : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** ﴾ سورة النساء ٤٠ - وفى صحيح البخارى مرفوعا : «اتقوا النار ولو بشق تمرة - ولو بكلمة طيبة» - فإذا كانت الكلمة الطيبة حسنةً توضع فى ميزان العبد يوم القيامة فإن هذه هى الرحمة التى لا تدانيها رحمة، وشق التمرة لا يستحق أن يذكر ويشكر - ولكنها الرحمة.

عن أبى سعيد الخدرى قال : لما أُنزلت «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» قلت : يارسول الله - إنى لراء عملى؟ قال : نعم - قلت : تلك الكبارُ الكبار؟ قال : نعم - قلت : الصغارُ الصغار؟ قال : نعم، قلت : واثكل أمى - قال : «أبشر يا أبا سعيد فإن الحسنة بعشر أمثالها - يعنى إلى سبعمائة ضعف - ويضاعف الله لمن يشاء - والسيئة بمثلها أو يعفو الله - ولن ينجو أحدٌ منكم بعمله» قلت : «ولا أنت يا رسول الله؟ قال : «ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة».

وهناك لونان آخران - نأخذ أولهما من قوله تعالى : ﴿ **وإن تك حسنة يضاعفها** ﴾سورة النساء آية ٤٠ - ذلك أن رحمة الله اقتضت أن يضاعف الحسنات لعباده، ولا حدود لفضل الله.

بعض الآيات والأخبار تجعل الحدّ ضعفين : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾ سورة الحديد آية ٢٨ - أى نصيبين - وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بى فله أجران - وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران - ورجل أدب أَمَةً فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران».

وبعض الآيات تجعل الحدّ عشر مرات : ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون** ﴾سورة الأنعام آية ١٦٠.

وبعض الآيات تصل بالأضعاف إلى سبعمائة ضعف ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم** ﴾ سورة البقرة آية ٢٦١ - بل إن خاتمة هذه الآية لا تقف بالأضعاف عند غاية، وكلُّه من فضل الله، وهذا هو المفهوم من قوله سبحانه ﴿ **وإن تك حسنة يضاعفها** ﴾ سورة النساء آية ٤٠ - إلى أى عدد ؟ وإلى أى مدى؟ لم تذكر الآية - وإنما هى مضاعفة موصولة ممدودة تليق بفضل الله وواسع رحمته ﴿ **ورحمتى وسعت كل شىء** ﴾ سورة الأعراف آية ١٥٦.

أما اللون الثالث من رحمة الله فتقدمه بقية الآية ﴿ **ويؤت من لدنه أجرا عظيما** ﴾ سورة النساء آية ٤٠ - وهو شىء جديد فى محكمة الله - عدل مطلق - يتبعه مضاعفة للحسنات بدون حدود - يتبعهما أجر من الله - وهذه الرحمة الجديدة فيها ثلاث ميزات :

- فهى من عند الله يقدمها ابتداء وبدون مقابل بدليل قوله ﴿ **ويؤت من لدنه** ﴾سورة النساء آية ٤٠.

- وهى مع ذلك تنزل منزلة الأجر - فالله حين يمنح هذا الفضل لمن يشاء من عباده يجعله حقا وأجرا لا يمكن حجبه عنه، ولا حرمانه منه شأنَ الأجور تقدم بعد العمل.

- وهذا الأجر أجر عظيم - فقد يتوهم الناس أنه - وقد قُدّم بدون ماقبل - شىء قليل أو صغير إلا أن الآية توضح أنه أجر عظيم يناسب عظمة الله - إذا كان الله عظيما فلا بد أن يكون عطاؤه عظيما - وإذا أعطى من فضله فليعط الكثير الجليل.

قال بعض العلماء : هذا الأجر العظيم بعد الجنة بكل ما فيها - وهو رضى الله سبحانه وتعالى، ورضا الله منزلة تتقطع دونها الأعناق، فإذا قرأنا آية فى آخر سورة البينّة رأينا ما يؤكد ذلك - فالجنة أجر وجزاء وفيها خلود وبقاء - ثم يأتى الرضا من الله :

﴿ **جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها - أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه - ذلك لمن خشى ربه** ﴾ سورة البينة آية ٨ - قال المفسرون : مقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم.

وروى الإمام أحمد عن أبى عثمان قال : قلت يا أبا هريرة : سمعت إخوانى بالبصرة يزعمون أنك تقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «إن الله يجزى بالحسنة ألفَ ألف حسنة»؟ فقال أبو هريرة : «والله - بل سمعتُ نبى الله ﷺ يقول : إن الله يجزى بالحسنة ألفى ألفِ حسنة» - ثم تلا هذه الآية : ﴿ **فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل** ﴾ سورة التوبة آية ٣٨.

أيها الأخ الكريم :

هذه ألوان من رحمة الله - إذا عرفتها فاعرف معها أن رحمة الله لا تكون إلا لمن يستحقها - وصدق الله :﴿ **ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون** ﴾ سورة الأعراف آية ١٥٦.

ويطيب لنا فى بعض الأحيان أن نعلل النفوس بالأمانى، وأن نعيش فى جو من الأحلام، وأن ننظر إلى الأمور نظرة بشارة وتفاؤل - وقد يبالغ بعضنا ويمضى مع الأمانى والأحلام إلى غاية بعيدة، فينسى بعضَ واجباته الدينية، ويتهاونُ شيئا من تهاونٍ فى شئون شريعته السمحة، وهو يقول لنفسه - لا بأس - إن الله غفور رحيم.

والتفاؤل شىء مرغوب، ولا ضرر فيه حين يكون فى حدود المعقول، وقد يكون نتيجة لفرط الثقة بالله، والثقة بالله لون من الإيمان واليقين - لكن حين تَسحرنا الأمانى عن الواقع، وتأخذنا الأحلام عن الحقائق نكونُ قد خرجنا عن حدود العقل والشريعة معا -

والنبى ﷺ يقول : «ليس الإيمان بالتمنى، ولكن ما وقر فى القلب وصدّقه العمل، وإن قوما قالوا : نحن نحسن الظن بالله وكذبوا - لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل».

والقرآن الكريم يجمع بين البشارة والإنذار، ويراوح بين الترغيب والترهيب، ويسوق مقدمات الرجاء وأسبابه إلى جانب مقدمات الخوف وأسبابه - وهذا جوهرٌ بارز فى رسالات الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين : ﴿ **رسلا مبشرين ومنذرين - لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان الله عزيزا حكيما** ﴾ سورة النساء آية ١٦٥- ومحمد ﷺ جاء على سنن الأنبياء قبله، فهو البشير النذير ﴿ **يأيها النبى - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه، وسراجا منيرا** ﴾ سورة الأحزاب آيات ٤٥ : ٤٦.

وقد جمع الله سبحانه وتعالى لنفسه بين الصفتين فى كثير من آيات الكتاب الكريم - فهو فى فاتحة الكتاب يقول : ﴿ **الحمد لله رب العالمين - الرحمن الرحيم - مالك يوم الدين** ﴾ سورة الفاتحة آيات ٢ :٤ - فى الأول تحدث عن الربوبية، وما يتبعها من قوة وسيطرة على العباد فى العالم كله، ثم ذكر بعدها الرحمة العامة والرحمة الخاصة فى قوله «الرحمن الرحيم» ليُطمئن القلوب التى تخاف من معنى القوة والسيطرة بما فى الرحمة من رقة ونداوة، ثم عاد فذكر باليوم الآخر، وبيَّن أنه المالك لَه وحده، المتصرّف فيه بإرادته، وهو لونٌ من الإنذار والتخويف يجلّ عن الوصف والبيان.

وهكذا يعرض القرآن الكريم معنى البشارة والإنذار فى نَسق محكم، وأسلوب مُتْقن، وتعبير بليغ بالغ، قال تعالى : ﴿ **نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم، وأن عذابى هو العذاب الأليم** ﴾ سورة الحجر آيات ٤٩ : ٥٠ - وهذا تصوير للمعنى فى روعة وإبداع - فالله يقول : يا محمد - أخبر عبادى أنى أناَ وحدى الغفورُالرحيم، وأن عذابى هو وحَده العذابُ الأليم. ولقد تقابلت الآيتان فى المعنى - **الأولى** - للترغيب والبشارة والرجاء، **والثانية** - للترهيب والإنذار والخوف- ثم التقتا على نَسق تعبيرى واحد فى نَغمَه وترتيبه لتُحدثَ كلٌّ منها الأثر النفسى المطلوب مع اتحاد فى الفاصلة إلى غير ذلك من أساليب التعبير القرآنى البديع- رُوى فىسببنزول هذه الآية عن ابن أبى رباح عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذى يدخل منه بنو شيْبة فقال : ألا أراكم تضحكون؟ ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقرى فقال : إنّى لما خرجتُ جاء جبريل عليه السلام فقال: يا محمد - إن الله يقول : «لم تقنط عبادى؟ ﴿ **نبئ عبادى**

أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هوالعذاب الأليم﴾ سورة الحجر آيات ٤٩ : ٥٠ - وسبب النزول يتوافق تماما مع معنى الآيتين الكريمتين - فلقد رأى النبى ﷺ أصحابه يضحكون فى الحرم، وكأنّه كره لهم هذا العمل، فأدبر عنهم منصرفا ليشعرهم بعدم الرضا - فنزل عليه جبريل بالآيتين فتعلّم وعلّم الناس،تعلم أن الاكتفاء بصورة واحدة فى أمور الحياة : الجد والصرامة - أو اللهو والفكاهة أمرُ غير محبوب - وعلى المؤمن أن يأخذ الدنيا بحلوها ومرّها - وأن يكون وسطًا فى الأمور،لا يُسرف فى اللهو ولا يبالغ فى الجد - إذا طمع المؤمن فى الجنة بدون عمل فهو الواهم الخادع لنفسه، المبالغ فى الأمانى، الماضى وراء الأوهام والأحلام. وإذا يئس العاصى من رحمة الله فهو اليائس القانط الآيس من كرم الله وعفوه. والله لا يرضى لعبده المؤمن واحدًا من الأمرين.

قال صلوات الله وسلامه عليه : لو يعلم المؤمنُ ما عند الله من العقوبة ما طمع فى جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد».

وصدق الله : ﴿إن ربك لسريع العقاب، وإنه لغفور رحيم﴾ سورة الأعراف آية ١٦٧.

وإنه لمن كمال الحديث عن رحمة الله أن نعود إلى القرآن، وأن نقرأ منه آيات بينات كلُّها تصور الرحمة الإلهية، وتعطى للباحث مفهومًا واضحا لحدودها وأهدافها ومواضعها. وآياتُ الرحمة فى القرآن كثيرةٌ إلى درجة واضحة، ومع هذه الكثرة فإنها تُساق بأساليب مختلفة، وتعبيرات متنوعة تحمل فى دلالاتها معنى الرجاء من العبد، والعفوِ من الرب - لكنها لا تفتح الأبواب المغلقة بدون قيود ، ولا تترك الحبل على الغارب لكل طامع.

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم﴾ سورة الزمر آية ٥٣ - وهذا دليل قاطع على أن رحمة الله واسعة، وأنها تشمل كل الناس، وكل الذنوب - فالله يغفر الذنوب جميعا، ولا مجال لليأس من رحمته حتى للذين أسرفوا فى المعاصى، وبالغوا فى ارتكاب الذنوب - لكننا نخالف الحقيقة العلمية إذا وقفنا عند هذه الآية، وأخذنا ما سبق من معانٍ، واكتفينا بهذا الفهم - فإن من الواجب أن نقرأ ما بعدها فإنه يوضح الطريق إلى الرحمة - إن الله يطالب بعد هذه الآية بالتوبة وبالرجوع إليه قبل أن يأتى موعد الحساب والعقاب - يقول سبحانه ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب،

ثم لا تنصرون﴾ سورة الزمر آية ٥٤ - قال ابن كثير فى تفسيره : «هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة - وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها، ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر - ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه».

ومن واجب المؤمن أن يقرن هذه الآية بغيرها من آيات القرآن حتى يصل إلى المعنى الصحيح، قال تعالى : ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ سورة التوبة آية ١٠٤ - وقال : ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه، ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ سورة النساء ١١٠ - فالغفران والرحمة لا يتحققان إلا لمن يستغفر الله، ويسارعُ بالتوبة الصادقة.

ومن آيات الرحمة والمغفرة فى القرآن قوله الله تعالى : ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم، وإن ربك لشديد العقاب﴾ سورة الرعد آية ٦- وهى آية واضحة الدلالة، فالله تعالى ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يَظلمون أنفسهم، ويخطئون بالليل والنهار - ولكنه شديد العقاب - ومن الواضح أن الجزء الأول من الآية وهو الصفح والعفو لا يتحقق إلا بالتوبة وبالعمل الصالح، وبالرجوع عن المعصية، وأن الجزء الثانى لا يحلّ إلاّ بالمبالغ فى عصيانه، والمنصرف عن التوبة قال تعالى : ﴿فإن كذبوك - فقل ربكم ذو رحمة واسعة، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين﴾ سورة الأنعام آية ١٤٧ - عن سعيد بن المسَّيب قال لما نزلت هذه الآية ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم، وإن ربك لشديد العقاب﴾ سورة الرعد آية ٦ - قال رسول الله ﷺ «لولا عفو الله وتجاوزُه ما هنأ أحدًا العيشُ، ولولا وعيدُه وعقابه لا تَّكل كل أحد».

والكثير من أحاديث النبى صلواتُ الله وسلامُه عليه تؤيد هذا المعنى - روى عنه أنه ﷺ قال : «إذا أذنب العبدُ ذنبا فاستغفر الله - يقول الله عزّ وجل لملائكته : انظروا إلى عبدى أذنب ذنبا فعلم أن له ربًا يغفر الذنوب، ويأخذُ بالذنب، أُشهدكم أنى قد غفرت له» - وسرّ المغفرة هنا هو التوبة - والتوبة تحمل معنى الطاعة، وتُصَوّر الاعتراف الكاملَ بالله، فالعبد قد عرف أنَّ له ربًّا، وهذا هو سُّر المغفرة والرحمة.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «إن للّه تعالى مائة رحمة ادّخر منها عنده تسعًا وتسعين رحمة، وأظهر منها فى الدنيا رحمةً واحدة - فبها يتراحُم

الخلقُ، فتحن الوالدةُ على ولدها، وتعطف البهيمة على ولدها - فإذا كان يومُ القيامة ضَمَّ هذه الرحمة إلى التِسْع والتّسعين ثم بسطها على جميع خلقه - وكل رحمة منها طباق السموات والأرض - فلا يهلِكُ على الله يومئذ إلا هالك».

هذا حديث كله رحمة وسماحة، وفيه تصوير لواسع رحمة الله، وأنها تشمل جميع الخلق يوم القيامة، ومع ذلك يجب أن نقف عند آخر جملة فى الحديث «فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك» - والهالك الذى لا تناله الرحمة هو من أبى التوبة، وبالغ فى العصيان. والأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ للّه وحده. وهو مرهون بأمرين رحمتِه وَعْدِله.

ونعود مرة أخرى، ونقفُ عند آيتين كريمتين من سورة الأعراف، ونحاول أن نصل إلى فهم واضح لمعنى الرحمة وحدودها. قال الله تعالى : ﴿ **واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك - قال عذابى أصيب به من أشاء، ورحمتى وسعت كلَّ شىء - فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون - الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم - فالذين آمنوا به، وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾ سورة الأعراف آيات ١٥٦:١٥٧.

يا أخى المسلم :

إن القارئ لهاتين الآيتين قد يأخذه من أول الأمر المعنى الواسعُ الشاملُ للتعبير القرآنى «ورحمتى وسعت كل شىء» فهى جملة عظيمة الشمول والعموم، تفتح أبوابا من الأمل لا حدود لها فى رحمة الله، ونحن حين نقرأ هذه الجملة منفصلة عن بقية الآيتين نكاد نشعر بكثير من الرجاء والانفراج والراحة - غير أن الإيمان الكامل، والفهم السليم للتعبير يفرضان علينا أن نضع الجملة فى موضعها من الكلام، وأن نأخذها متصلةً بما قبلها وبما بعدها.

والآية الأولى تبدأ ببقية من دعاء لموسى عليه السلام طلب فيه من الله المغفرة، ثم طلب منه حسنة فى الدنيا، وحسنة فى الآخرة، وعلل هذا الطلب بأنهم تابوا إلى الله، ورجعوا إليه. وفيها جواب من الله عن سؤال موسى ودعائه - فبماذا أجاب الله ؟ لقد

قال : ﴿ **عذابى أصيب به من أشاء، ورحمتى وسعت كل شىء** ﴾ سورة الأعراف آية ١٥٦ - أى أنا أفعل ما أشاء، وأحكم بما أريد، ولى الحكمة فى كل ما أفعل فى حدود العدل - ولقد ذكر الله العذاب قبل الرحمة، وقال إنه قادر على أن يصيب بالعذاب من يشاء ممن يستحق العذاب - ثم ذكر الرحمة شاملة واسعة عامة - لكنه عاد مباشرة فقيّدها، وجعل لها حدودا وقال كلمته التى لا معقب عليها ﴿ **فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون** ﴾ سورة الأعراف آية ١٥٦ - فلا بد لكى ينال العبد هذه الرحمة الإلهية من أن يكون من المتقين، والتقوى هى جماع الفضائل، وغاية الطاعات، ولب الإيمان، وأقصى غايات المؤمنين من العبادة والسلوك القويم، وإذا كان القرآن قد جعلها شرطا للرحمة الإلهية فإنها شرط يصعب تحقيقه إلا على صفوة من المؤمنين، ثم ذكر الله إيتاء الزكاة بعد التقوى تنبيها على عظم شأنها ولبيان فضلها فى تقوية العلاقات الاجتماعية من المسلمين، وفى تطهير النفوس من الشح والبخل، وتطهير الأموال من الآفات، فهى وسيلة من وسائل التقوى تحتاج إلى مزيد من عناية - ثم عاد فذكر شرطا ثالثا هو الإيمان بآيات الله، والإيمانُ تصديق وعمل، فهم يؤمنون أىْ يُصدقون ويعملون بمقتضى هذا الإيمان.

أرأيت يا أخى كيف ذكر الله الرحمة فى صورة شاملة عامة، ثم قيَّد منحها للناس، فلن تكون إلا لمن يبذل الثمن، والثمن هنا تقوى وزكاة وإيمان.

ولم تكتف الآيتان بذلك - فإن الآية الثانية تعرض ما يشبه الشرط الرابع، وإن كان فى حقيقته توضيحا لما قبله، وتأكيداً لمنزلة محمد ﷺ - إن الآية تقول : لا بد من الإيمان بمحمد ولم تذكره باسمه، وإنما ذكرته بهذه الصفات الدالة على جوانب الفضل والخير فيه - فهو رسول نبىُ أمىٌ، مكتوب باسمه وصفته فى التوراة والإنجيل - إنه يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر ويحلُّ الطيبات، ويحرّم الخبائث، وشريعتُه كلها يسر وسماحة، ورفق ولين - فمن آمن به، وعمل بشريعته، واتّبع ملّته فهو المفلح الناجى، وهو الذى يستحق - بعد ذلك كله - رحمةَ الله، - هذا المدى الطويل من الشروط والقيود مقصود من القرآن الكريم حتى لا يظن الطامعون أن الرحمة الإلهية يسيرة قريبة، فيقعدون عن الطاعة، ويتساهلون فى أمور الدين.

إن رحمة الله واسعة، ولكنها عزيزة المنال، غالية الثمن - وصدق الله : ﴿ **كتب ربكم على نفسه الرحمة - أنه من عمل منكم سوءا بجهالة، ثم تاب من بعده وأصلح، فأنه غفور رحيم** ﴾سورة الأنعام آية ٥٤.

وصدق الله : ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾سورة الأعراف آية ٥٦.

فالأمر يا أخى كما ترى يرجع كله إلى رحمة الله سبحانه وتعالى

وهو الموفق والمعين والهادى إلى سواء السبيل

obeikandi.com

صور من الظلم

نحمد الله حمد الشاكرين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ﷺ .

أما بعد..

فقد ألف الناس أن يتحدثوا عن صورة واحدة من صور الظلم - وأعنى به ما يحدث بين الأفراد والجماعات من ظلم القوى للضعيف - وأريد اليوم أن أتحدث عن صور أخرى ربما غابت عن الذهن مع أنها خطيرة الأثر فى حياة الفرد، وفى تكوين الجماعات. أريد أن أترك ما ألف الناس الحديث عنه حين يسُمرُون ، وحين يلتقون فيعظون أو يتعظون. أتركُه لأن المظلوم فى نظرى يتحمل من المسئولية ما يجعله شريكا لظالمه . ذلك لأنه يُسلّم فى حقوقه، ويتخاذل فى موقفه فيعطى الظالم فرصة يحقق بها ما يريد. يصدق هذا على الأفراد ويصدق على الدول فى كل عصر وفى كل بيئة.

ولا شك أن الإسلام دين العدالة والحق - فالعدل صفة من صفات الله، والحق اسم من أسمائه - وهو القائل فى كتابه ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ سورة النحل آية ٩٠ - ﴿ **وما الله يريد ظلما للعالمين** ﴾ سورة آل عمران آية ١٠٨ - ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾سورة فصلت آية ٤٦ .

إنما أريد أن أتحدث عن صور أخرى ترجع إلى صلة العبد بربه، وصلته بنفسه ، صور تتناول العقيدة فى جوهرها، وفيما يترتب عليها من علاقات.

وأول ما أعنى من صور الظلم : الشرك بالله - ذلك لأن الشرك بالله ظلم فادح، وعدوان أثيم على مقام الألوهية - فالمشرك يسوّى بين الخالق والمخلوق، ويعدِّل بين السيِّد والمسود - وينسى الفروق البعيدة بين عظمة البارئ المبدع، وضآلة العبد وهوان شأنه - ولهذا بدأ لقمان وصيته لابنه بالنهى عن الشرك، ووصف الشرك بأنه ظلم عظيم : ﴿ **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى : لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ سورة لقمان آية ١٣ - أى هو أعظم ألوان الظلم - روى البخارى : لما نزلت ﴿ **الذين آمنوا ولم**

يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ سورة الأنعام آية ٨٢ - شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا أيُّنا لم يلبس إيمانهَ بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ : «إنه ليس بذلك - ألا تسمعُ إلى قول لقمان - يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم».

وصورة ثانية من صور الظلم تتصل بالصورة الأولى وترتبط - هى صورة من يُكَذّب الوحى، ويفترى على الله، ويدَّعى أن ما جاء به محمد سحر وباطل - قال تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام، والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ سورة الصف آية ٧ - وقال سبحانه : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه** ﴾ سورة العنكبوت آية ٦٨ - وهى صوره مركبة من الظلم، أو فيها ظلم من ناحيتين - فهذا الظالم يكذِّب الرسالة وينكر الوحى أولا - ثم يأتى بكلام من عنده، ويفترى شيئا غير صحيح ثانيا.

ومن صور الظلم أن تقصر عن الغاية وأنت قادر عليها، وأن تقعد عن المجد وقد مهّدت لك الحياة أسبابه - وبهذا تظلم مواهبك، وتضع نفسك موضع التخلف والهوان وقد كانت أهلا للتقدم والعزة. ومن بدائع التعبير القرآنى أن الله تعالى حين وصف الجنتين المثمرتين فى سورة الكهف نفى عنهما الظلم لأنهما أثمرتا وآتت كل واحدة ماهى أهل له، ولم تقصر فى الإنبات أو فى العطاء - قال تعالى : ﴿ **كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا** ﴾ سورة الكهف آية ٣٣ - أى لم تخف أو تدخر منه شيئا - فمن كانت عنده موهبة عقلية، أو جسمية، أو نفسية ثم أخفاها وقصّر بها عن غايتها فهو ظالم لنفسه - ومن منحه الله القدرة والكفاءة فى أمر من الأمور فبذل، وسعى، وكان أهلا لهذه المنحة كان عادلا مع نفسه، وعادلا مع ربّه.

وما أقسى أن يظلم الإنسان نفسه - إنه يظلمها فى أخطر أمورها : يظلمها فى دينها وفى عقيدتها، وفى صلتها بربها ﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم، وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾سورة آل عمران آية ١٨٢.

ومن صور الظلم أن نجحد الفضل وننكر الجميل :

بعضنا يظلم والديه، ويدير لهما ظهره، ويتركهما فى مهبّ الرياح وقد منحاه الحياة.

وبعضنا يظلم أستاذه، فينكر فضله، ويجحد خيره - ويمضى عنه كأن لم يكن بينهما سبب.

وبعضنا يظلم الصديق - يسعى إليه عند الحاجة حتى إذا ما استغنى نسى ما سعى.

وبعضنا يظلم الرحم، يقطع الأخت البائسة، وينسى اليتامى الصغار، ويترك فى القلوب جروحا دامية بالحقد والشجن والشجى.

وما أكثر الصور - وما أمرّ الحديث - وما أصدق القرآن حين صوّر عاقبة الظلم فى واحدة مما تحدثنا عنه - وحكم على الكافرين بالخلود فى النار - ونفى أن تنفعهم أموالُهم ولو أنفقوها فى أوجه الخير - قال تعالى :

﴿ إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا - وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر ، أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته - وما ظلمهم الله ، ولكن أنفسهم يظلمون ﴾سورة آل عمران آيات ١١٦ : ١١٧.

ونسأل الله العفو والعافية

وإليه يرُجع الأمر كله

وله الحمد والمنة.

الحمد لله

نحمد الله على كل حال ونعوذ به من حال أهل النار

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا وحبيبنا محمدا رسول الله.

وبعد :

فيا أيها المسلم :

«الحمد لله» - كلمة يقولها المسلم إذا توجه إلى ربه، ووقف بين يديه يناديه ويناجيه، ويستغفره ويدعوه، ويسأله الرحمة والقبول، يكررها العبد فى كل صلاة فهى شفيعُه إلى الله، ووسيلته حين يطرق باب مولاه.

و«الحمد لله» - كلمة جعلها الله فاتحة الفاتحة، فهى بداية القرآن الكريم - نقرأها فى أول سورة الفاتحة : ﴿ **الحمد لله رب العالمين - الرحمن الرحيم - مالك يوم الدين** ﴾سورة الفاتحة آيات ٢ :٤.

فهل سأل المسلم نفسه - مامعنى هذه الكلمة ؟ ولماذا يكررها فى صلاته وضراعته؟ ولماذا وردت فى القرآن الكريم بصور مختلفة، وفى مناسبات كثيرة؟

إن الحمد هو الثناء والشكر - ونحن نقولها فى دعواتنا وصلواتنا دليل عرفان بنعم الله التى لا تعد ولا تحصى، نقولها فنُثنى عليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، والله يحب من عبده أن يقولها فى كل مجال - قال صلىّ الله عليه وسلمّ للأسود بن سريع (أما إن ربك يحب الحمد) - وماحدثنا به الرسول الكريم هو الحق، فالله سبحانه وتعالى يحب الحمد والثناء ، ولهذا أثنى على نفسه فى القرآن الكريم أكثر من مرة.

أثنى على نفسه حين بدأ الكتاب الكريم بقوله : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ - وحين ذكر نعمة نُزُول الكتاب على محمد فقال : ﴿ **الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجا ، قيما** ﴾ سورة الكهف آيات ١:٢ - وأثنى على نفسه حين افتتح نعمة الخلق والتكوين ﴿ **الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور** ﴾ سورة الأنعام آية ١ - وحين

فَطَر السموات والأرض، وخلق الملائكة وجعلهم رسلا، وزاد فى الخلق زيادة تساوى قدرته وعظمته ﴿ **الحمد لله فاطر السموات والأرض، جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة، مثنى وثلاث ورباع - يزيد فى الخلق ما يشاء - إن الله على كل شىء قدير** ﴾ سورة فاطر آية ١.

ثم أثنى سبحانه وتعالى على نفسه بكلمة الحمد حين نزَّه ذاته عن الولد وعن الشريك، وتربّع فى عليائه إلها قويّا قادرا ، واحدا صمدا : ﴿ **وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولى من الذل - وكبره تكبيرا** ﴾سورة الإسراء آية ١١١.

وعندما تمضى إرادة الله إلى غايتها، وتنتهى الخليقة إلى نهايتها، تطوف ملائكة الله بعرشه، تسبحه وتشكره وتحمده، وكلمة الحمد هى خاتمة المطاف : ﴿ **وترى الملائكة حافين من حول العرش، يسبحون بحمد ربهم، وقضى بينهم بالحق، وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾ سورة الزمر آية ٧٥ - تقولها الملائكة ويقولها المؤمنون، ويقولها الكافرون، وتقولها الكائنات كلها - لقد ظهر الحق، وانتهى الأمر. ولم يبق إلا وجه الله العلىِّ الكبير.

هكذا يثنى اللهُ على نفسه بكلمة الحمد فى كل مقام عظيم، - وإلى جانب هذا فإنه يطالب عباده بالحمد فى مواقف حياتهم المختلفة. ولهذا يقولها المؤمنون إذا شكروه على نعمة الهداية ﴿ **وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله** ﴾ سورة الأعراف آية ٤٣- يقولون ذلك يوم القيامة بعد أن يُذهب الله عنهم الحزَن ، وينزِعَ ما فى صدورهم من غِل، ويجدون صدق ما وعدهم : ﴿ **وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن، إن ربنا لغفور شكور** ﴾سورة فاطر آية ٣٤ - ﴿ **وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء - فنعم أجر العاملين** ﴾سورة الزمر آية ٧٤.

وهى كلمة الأنبياء كلما منحهم الله فضلا، أو أعطاهم نعمة، قالها إبراهيم حين رزق الولد على شوق ودعاء ﴿ **الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحق، إن ربى لسميع الدعاء** ﴾سورة إبراهيم آية ٣٩.

والقرآن الكريم يطالبنا بالحمد فى كل وقت - كلما طلعت الشمس أو غربت ، وكلما تحرّك الفلك أو دار، وكلما تغيرت مراكز الكائنات ومصائرها فى الحياة: بين ليل ونهار - وظلام ونور، وأنس ووحشة، ولقاء وفراق، وإقامة وغربة، - كلما حزب أمر أو اشتد مكروه

- كلما زالت نقمة، أو حلّت نعمة - ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾ سورة ق آية ٣٩ - ﴿ **وسبح بحمد ربك حين تقوم، ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم** ﴾ سورة الطور آيات ٤٨ : ٤٩ - ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا** ﴾ سورة النصر آية ٣.

«والحمد لله»

دعوة مستجابة فى أول الحياة، وفى آخر الحياة، وفيما بعد الحياة : ﴿ **له الحمد فى الأولى والآخرة، وله الحكم، وإليه ترجعون** ﴾ سورة القصص آية ٧٠.

وهى آخر دعوة للمؤمنين يوم يعودون إلى رحاب ربهم فيمنحَهم رضوانه، ويُدخلَهم فسيح جناته، ﴿ **دعواهم فيها سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين** ﴾ سورة يونس آية ١٠.

وبعد - فهذه هى كلمة «الحمد»

تقال فى كل صلاة، وتُقَال فى الأولى وفى الآخرة، يقولها العبد المؤمن، ويقولها النبى المرسل، ويقولها الربّ عزّ وعلا، فاحرص عليها يا أخى فى كل وقت، والجأ إليها فى كل نعمة، وعند كل شدة، قال صلوات الله وسلامه عليه :

«أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء - الحمد لله».

والله الهادى إلى سواء السبيل.